٤٤٦٢٤

تحجبني عنك الستائر

سمر الأشقر

تحجبني عنك الستائر / شعر
سمر الأشقر
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨
OKTOB.NET
دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج
هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧
موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥
E – mail : dar_oktob@gawab.com
المدير العام : يحيى هاشم
تصميم الغلاف : زهير ابو شايب
رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٢٦٣٤
جميع الحقوق محفوظة©

تحجبني عنك الستائر

شعر

سمر الأشقر

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

لكل من تبقى من الأحبة حولي

I

تحجبني عنكَ الستائرُ

شكرا لكلِّ منْ حضرَ جنَازَتي/ وواسى أمِّي
شُكْرًا لكلِّ مَنْ تَرَكَ ورْدَةً بَيْضَاءَ على قبْري
وَتَمْتَمَ بِدُعَاءٍ مِنَ القلبِ راجيًا لي الرحمة
سَأكونُ حينَها..
مستلقية عَلى ظهْري باسترخاءٍ مفتَعَلٍ.
لا شيءَ يشغلني
غيرُ انتظار مُروركمُ الجميل
لن أشعرَ بالألمِ لو داسَ أحدُكم
عامداً أو مِنْ دونِ قصدٍ على أجفاني
بَعْدَ قليلٍ.. سيملأُهَا الترابُ وديدانُ الأرض
شكرًا لكلِّ مَنْ حضرَ
ومنْ لمْ يحضرْ فرحي.

غدًا ، أو عمًّا قريبٍ
عندما أتعَوَّدُ العيشَ في العَتْمَةِ
سأتَجَوَّلُ في حواريها بحريَّةٍ
دونَ خوفٍ منْ غربَتي
هُنَا كلّ الهياكلِ تبدو متشابهة
ليسَ لهَا أسماء
لها نفسُ العيونِ الفارغةِ
الابتسامات الساذجةِ
الصدور المقعَّرَةِ
كلُّ الموتى يعيشونَ دونَ قلبٍ
أو لسانٍ يلوكُ سيرةَ أحدٍ
لربَّما، سينكشفُ لي عمًّا قريبٍ
سرُّ صمتِ القبورِ
بعد أنْ تَتَوقفَ الكلابُ، تماماً، عن نباحها.

سأفتقدُكَ كثيرا

سأفتقدُ كلَّ العصافيرِ التي ارتطمت بمرآةِ نافذتِي
العصافيرِ التي أؤمنُ بأنها الوسيطُ الوحيدُ بيننا
والتي تلملمُ الآنَ، السنابلَ عن قبري
سأحمّلها قمحَ روحي إليكَ قبل أن تطير
سألقّنُها كلّ ما لم أقلْه
سأعلّمُها طريقَ الوصولِ إليكَ،
وأصفُ لها تفاصيلَ نافذتك
ليتني طلبتُ منكَ أن تتركَها مفتوحة
كي تمرِّرَني العصافيرُ إليكَ
دونَ أن تحجبَني عنكَ.. الستائرُ.

كنتُ أردد دومًا ..بأنَّني سعيدة

غير أني لم أكنْ

لا عليكَ،

فأنا الآنَ

أرقدُ سعيدةً

ليس لأنَّ المكانَ جميلٌ

تعرفُ جيداً أن الموتَ موحشٌ وجارحٌ

لكنني أشعرُ بحريَّةٍ هنا

و أحبُّكَ أكثر

رغم أني لا أتنفسُ أنفاسَك

ولا أشمُّ رائحتَكَ الصباحية

التي شربها طينُ روحي لآخرَ قطرةٍ

غدا، حين تزورني
تَجدُ أمامَكَ ربيعًا أخضرَ
ورودًا تحملُ رائحتَكَ
فراشاتٍ كثيرةً تحومُ فوق رأسِك/تحطُ على كتفيك
كلها قصائدُكَ
كتبتُها بيديكَ على روحي
لا طاقة للموتِ عَلى مَحْوِهَا.

**

هنا، لا ظلامَ
رغمَ أنَّ جسدي محشورٌ في مساحةٍ ضيِّقةٍ
وكافيةٍ لأنْ أرقدَ بسلام،
كلُّ ما سأفتقدُه الآنَ
طقوسَ الشاي / الإفطارَ الإنجليزي
اسمك ينهمرُ شلالا منْ شفتيّ
صوتَك المبلَّلَ بالنعاس والغضبِ
يأمرُني بالسكوتِ/ بسْ يا سمر.

**

من ركنٍ قصيٍّ..هادئ
أعيدُ اكتشافَ نفسي
لاشيء يقطعُ خلوتي
لا شيءَ يحرِّكُ فيّ ساكنًا
يبدو أنّ طريقة دفنِ المَوتى مثاليةٌ في هذا المكان
تهيِّئُهم لتأمّلِ الكون دونَ عناءٍ
دونَ أنْ يقاطعَهمْ أحدٌ
هُنا..
أرَى السَّمَاءَ بوضوح
أرى وجهًا جانبيًا لرَجُلٍ حكيم
يعصِرُ في قبضتِه حفنةً من غيم مسافر
المطرُ يبلّلُ الأرضَ ووجهي
عاجزةٌ عن مسح الماء عن جفوني

متى تطلعُ الشمسُ؟
هل سيطولَ انتظاري
مثلمَا حدثَ معي في حياةٍ سابقةٍ
اذكرُ أنّي انتظرتُ طويلا
ذرفتُ دموعًا كثيرةً
قبلَ أنْ تكشط يدُك الخشنةُ الملحَ عن وجهي
الآنَ
فهمتُ أنَّ القسوةَ الظاهرةَ للأشياء
تُخْفِي وراءَها رقةَ وهشاشة
بلْ حُنوًّا بالغًا
(لعلّهَا حكمةُ الموتِ)

**

هنا/ لا أحد

نحنُ فقط

لا كما يريدُنا الآخرونَ

جسدٌ يضيقُ بلحمِه وصفاتِه

يعيدُها راضيًا للطين

ليشعرَ كمْ كانَ عبدًا

وكم هو الآنَ في القبرِ حُر

**

لا شيءَ يعكّرُ صفوَ نومي

إلاّ الوحدةُ

على الرغم أنَّ مَوتَى كثيرون مثلي

ناموا وحدَهم في الحياةِ

لكنْ ثمة شيئا غامضاً

جعلني أشعرُ بالنَّدم .

قدمان كبيرتان تمران بجانبِ قبري

نعلان يقتربان

أعرفُ هذين النعلين جيدا

كنتُ ألتصقُ بالبابِ أحيانًا

بانتظار سماع وقعِهما على السُّلم

كنتُ أفتحُ البابَ

قبل أن تَتَوحَّدا معًا على البلاط

وقبلَ أنْ تمتدَّ يدٌ أحفظُ خطوطَها؛ لتدقَّ الجرسُ

هنا،

لا حاجة لي لأحذيةٍ ألمّعُها

أو سلالمَ تصعدُها روحي

لتلاقيَكَ

**

الرقصُ هنا يشبهُ معجزةَ إحياء الموتى
لذا، يمكنُنِي أن أتخيله فقط
أدندنُ Careless whisper
أسمعُها بصوتِ –خوليو ايغلسياس – الحاني
(كان بمقدورنا أن نرقصَ معًا إلى الأبدِ)
لكنِ الآنَ، منْ سيشاركني هذه الرقصة
يا الله
لو أن أقدامي احتفظتْ بإيقاعاتِها

**

أسمعُ طائرةً

تخترقُ حاجزَ الصمتِ

أشهقُ وملءُ فمي ترابٌ

"خذيني"

قبل أنْ أموتَ اليومَ مرتين .

**

لا سريرَ لي ولا وسائدَ
فراشٌ من تراب
وحجرُ صوان أسندُ عليه رأسي
لا كستناءٌ تطقطقُ على الموقدِ أمامي
أو أصابعَ تُنشِدُ الدفءَ تمتدُّ إليها
هنا لا شتاءَ ولا صيفَ
الربيعُ تركتُه ورائي
لا أراه
لكنني أحسُّه
حين يكسو العشبُ طِيني
حينَ اتفتح بنفسجاً
وتغني الطيورُ علَى شاهدِ قبْري

لطالمَا غنَّيْتُ

"أنا لحبيبي وحبيبي إلي "

ها أنا أحاولُ الآن

بعضُ المفرداتِ تغيرت

فيما اللحن ثابتٌ

"أنا لقبــــري ...وقبري لي "

**

ليس ثمة شجرة
أتسلّقها
لأسميَها شجرةَ الحياةِ
ليس ثمة حلمٌ يسكنُني الآن
أو أغنيةٌ أترنَّمُ بها
ثمة موتٌ يسكنُنِي.

مســـتر بورفورن

كلُّ عَام
يَزورُني مستر بورفورن
حَامِلا لي باقة كبيرة من الأوركيدا الأبيض
وأوشحة مِنَ الحَرير المُزَخْرَفِ بالأزْهَار.
كُلّ عَامٍ، يَدعوني مستر بورفورن إلى العشاء،
أعتذرُ لهُ بشدةٍ
وفي كلِّ مَرَّةٍ
يسألني قبيلَ سفَره
مَتَى أزُورُ بلادَه
أقولُ باهتمَامٍ
هذا العَامْ

مستر بورفورن لا يتَحدثُ الإنجليزية بطلاقةٍ
لكنَّه يلحُّ هذه المرَّة
كثيرًا لرؤيتي
يدعوني إلى مطعم آسيوي
يَطلبُ لي نودلز فواكهِ البحر
لحومًا متبَّلة ببهاراتِ بلادِه
ساتي الفلفل الأخضر الحَار
ويَطّلبُ لنفسه كَأسًا منَ السَّاكِي
وكلّما التمعتْ فكرَةٌ برأسِه
وضَاعَتْ منْهُ المُفْرداتُ
يَرتَشِفُ منْ كأسِه قطرةً
ويبتَسِمُ
أبادلهُ الابتسامْ.

مستر بورفورن يقولُ لابنهِ اليافع
أنّي صَدِيقتُه الأثيرةُ
يقولُ له أشياء كثيرةً
تمنّيتُ لو أفهمُها
غير أنّي أحببْتُ ما تفصحُ به عيناه
منْ ودٍ واهتمامْ.

أمّي تسألني
عنْ أخبَار مستر بورفورن
لا أعرفُ شيئًا عنه، قلتُ
كَتمتُ خوفي عليه
إذْ مرَّ عَامٌ منذُ آخر باقةِ أوركيدا
مرّ عامْ.

ثرثرةُ الضوء

على كسل، تُغادرُ سريرها
تمشي حافية القدمين..
باتجاه الباب
الباب الذي أغلقته منذ ساعتين
ثمة شكٌ ساورها قبل قليل،
ثمة يقينٍ الآن
كل شيء بدا تلك اللحظة
مغلقا
حتى طريق النوم

غرفة الفندق (ذو النجوم الخمس)
ضاعفت إحساسها بالغربة
السريرُ الكبير جدا
الهاتفُ
أزرارُ التحكم و الإضاءةِ
الشرفةُ المطلةُ على النهر
كلٌّ ما حولها
يدعوها لتغييرَ عاداتها
لكنها تنكمش في الجانب الأيسر من السرير
بين هاتفٍ لا يرنُّ
وضوءٍ أعماه الظلام
ونهرٍ تحجر في مجراه
بانتظار ما لا يجيء.

قلّبتْ الكتابَ بين يديها وتقلبتْ

تقلّبتْ حتى غفتْ

بالكادِ غفتْ

ثرثرةُ الضوء الخافتةُ بجانب السرير

مع صورة درويش

في حضرة غيابه

أقلقت منامها.

نصفَ ساعةٍ للطَّريق

عليّ أنْ أعيدُ تَرتيْبَ نَهَاري

ساعة للصحو

نصفَ ساعةٍ للطّريق

دقيقتين لبائعِ الصُّحفِ الملقاةِ على الرَّصيفِ

خمسَ ساعاتٍ للعمل

استراحة قصيرةٌ

ثلاثَ ساعاتٍ أيضًا للعمل

ساعة للعتمةِ، للزحام،

للإشاراتِ الضوئيةِ الحمْراء

هل أخبرتُكم من قبل

كيف تبتلعُني دوامةُ نهاري

أبحثُ في الأطلس عن مدنٍ نهاريَّةٍ
لا تعرف الليلَ إلا قليلا
لا تعرفُ البردَ
لا تعرفني.

أريدُ أن أمشيَ على شاطئ البحر
وحينَ أتعبُ
أتمدَّدُ كقطةٍ حبْلى
تحتَ ظلٍّ بَعيدٍ
أغمضُ عينيَّ بقوةٍ؛ لأغفوَ
لعلّني أحلم
بطفلٍ
في خريفي لا يجيء

أريدُ أنْ أتقلبَ على الرَّمل

أحفرُ في الرَّمْلِ عميقًا

أدفنُ ماضيَّ وأمضِي؛

لأكونَ غيرَ الآن

أو لا أحد.

أنا لستُ ما أنا عليه الآنَ

كنتُ أجملَ،

كنتُ أكثرَ بساطة و طيبة،

لم يكنْ لي مخالبٌ قط

أخدشُ بها الترابَ؛

لأدفنَ تحته تجعيدةَ الحزن العميقة،

التي غطَّتْ مرآتي.

أريدُ نهاراً مشمسًا

أرى فيه الوجوهَ على حقيقتِها

أمسكُ فرشاةً

علبةً معدنيَّةً

كأسَ ماءٍ

قطعةَ قماشٍ مشدودةً على حاملٍ خشبيٍّ

فكرةُ الوجوه تربكُ أصابعي

الألوانُ لغةٌ أولى للهروبِ منها.

***

الحبُّ إذنْ

أن تغمضَ عينيك

أن تتركَ قميصَك الأزرقَ للريح

أن تغمسَ قلبكَ في البياض

وتمضي إلى نهارٍ آخرَ.

خيطُ غيمٍ داكنٌ

خيطُ غيمٍ داكنٌ

يقسِمُ السَّمَاءَ إلى نِصفَيْن

نصف يتشرَّبُ حمْرَةَ الشَّمْس

وهيَ تَمْضِي نَحْوَ أفقٍ آخر

ونصف يتوحَّدُ معَ بحْرٍ ماتَ منذ زمنٍ

في الطَّريق إلى البَحْر أوقفنا حاجزٌ دركي

هنا يحرسون البحرَ جيداً

رُغم موته القديمْ.

هناك علَى بُعدِ مسافةٍ قريبةٍ مني

هناك /على الضِّفةِ الثانية للبحر

قطعةٌ من جَسَدِي

استوطنَها الأغْرابُ

من شرفةِ الحُجرَةِ الأنيقَةِ العَاليَةِ

رأيت ما وراءَ البحْر

رايت ما وراءَ الشَّجَر

رأيت بُيوتًا لا تشبهُ بيتَ جَدِّي

مصابيحَ كثيرةٌ

تُطفئُ في عينيَّ الفرحَ

وتُشْعِلُ فيهما الحنينَ

لو أعبرُ الليل إليهَا

هل سأنجو منْ الحرس

على الخطِ الناصل بين رئتيّ

وترابِ الوطن

شُرفةٌ عاليةُ الأحلامْ

الفتاةُ الجالسةُ على الشرفةِ
لمْ تَعدْ تَشعرُ بالبردِ
لما أشعلتْ ثقابَ الرَّغبة
في عُيونٍ
تنظرُ للأعلى

**

الفتاة الجالسِةُ على الشرفة
تَغْزِلُ كِنْزَةَ الصّوفِ لِحَبيبِها
الصّنارتان تتعَاركان بشراسَةٍ.
خيطُ الصّوفِ يَكِرُّ/ يفِرُّ.

ريحٌ قويّةٌ تهب

اليدُ التي تحيكُ الكنزةَ ترْتَجفُ

الفتاةُ تفكّرُ كيفَ تُدفِئُ

بالبردِ

صدرَ حبيبها.

**

الشابُ ذو العَضَلاتِ القويَّةِ

يَقيسُ المَسافةَ بينَ الشّارع والشّرفةِ

الفتاةُ الجالِسةُ على الشّرفة

تقيسُ حَرارةَ ارْتباكِها.

**

الشّرفةُ تعْلو

بأحلامِها

السّلمُ

يَهبطُ بها

صدْرُها في لهفة الانتظار

ظلَّ يعْلو

ويهبطُ

**

بابُ الشّرفةِ يتأرْجحُ

السّتائِرُ مِنْ وراءه تَميل

الكرسيُّ الهَزّازُ يواصِلُ اهتِزازَه

النظْرةُ، فقطْ، ظلّتْ ثابتة..

باتجاهِ نافذته الموصدة.

قُبعةُ القشّ

غابتِ الشّمسُ
السيدة الأنيقة على وقفتها
بقبعةِ القشِّ
بالنّظّارةِ السّوْداء
لا زالتْ تنتظرُ الدّورَ
الغربانُ على أسلاكِ الهاتفِ
تراقبُ
الفزّاعة
ذات الساقين.

**

السّيدةُ الأنيقةُ تواصلُ وقوفَها
المارةُ يتساءَلونَ
عن تاريخ صنعها.

مطرٌ يتساقطُ

قبعةُ القش تحمي وجهَ السيدةِ من البللْ

تسّاقط بلا قصد

أوراقُ أيامها

**

الحذاءُ ذو الكعبِ العالي

الذي ترتديه السيدةُ الأنيقة

ينغرزُ عميقًا..

في الإسفلتِ

عصافيرُ كثيرة تفترش القش.

موت الشجرة

احتَرَقَ الجذرُ
احترَقَ الجذعُ
احترقَ فيَّ كلُّ غصنٍ يانع.
في صباحٍ ليْسَ ببعيدٍ مِنَ الآنَ،
بللَ مطرُ خريفيٌّ بلاطَ الرَّصيفِ،
لؤلؤتان سوداوان سالتَا على بياضِ الوسادَةِ،
لم يجفَّ الكحلُ بعدُ،
هوَ العمرُ إذن.

- أبي، هلْ تسمعُنِي؟
هل ستأخذُنِي إلى المدرَسَةِ غدًا ؟
....
مَنْ إذَنْ سيمسكُ بيَدِي فِي المَمَرِّ المُظلِمِ الطَّويلِ؟

تختبئُ الطّفلةُ بَيْنَ ألحفةِ السَّرير،

تُغْمِضُ عينيْهَا،

تُدَنْدِنُ أنشودةً حَفِظتْها عنْه

تعدُّ أصابعَهَا

(منَ الواحدِ إلى العشْرَةِ)

لم يكنْ منْ عادتِه التأخرُ في صلاةِ الجمعةِ

برَدَ الشايُ المّعدُّ له بالمرمريةِ،

ذَبلتْ الأزهار على المائدة،

جفّتْ فطائرُ الزّعتَر المعجونةُ بالزَّيتِ والسمْسم،

الدَّمعُ كادَ، لولا سُقوطُ لؤلؤتين في صحن

مرمر،

وكلما ناداها باسم "مرمر"،

تَضْحَكُ بسعَادَةٍ ،

تلْعَقُ المَسَاحَةَ الضيِّقة حولَ شَفَتَيْها،

لم تَشْعُرْ بالمَرارةِ قطّ
قبلَ غيابه
لماذا تأخرَ في الصّلاةِ هذه المرة؟
مذعورةٌ تَخْتبئُ بين ألحفةِ السرير
وتُعَاودُ العدَّ منْ جديد.

الإرث

عيناكَ في الصورةِ
تنظران إلى البعيد
غضون وجهك الدقيقة
أنفك الصغيرُ (الذي أورثتني إياه)
كفاك المتشابكتان في نشوة وفرح
العروقُ النابتةُ فيهما
(النابضة في خطوط يدي)
البذلةُ السوداءُ الأنيقةُ
بياضُ القميص القطنيّ
الياقةُ المشدودةُ
ربطةُ العنق الحريريةُ
كلّ هؤلاء
تآمروا ضدي الليلة.

حديقةُ أبي

أعانقُ شجرة اللوز

لأتنفس من زهرها

بياضاً يشبه ضحكة أبي

**

الأزهار التي يحبها أبي

كلها بيضاء

فل /ياسمين/جاردينيا /زنبق بلدي

كلها تشبه بشرة أمي

نسمةٌ باردة،
داعبت النخلة على بوابةِ البيت
على أية حال،
رحل أبي!

النخلةُ تنتَظِر مجيئه

بالريح

تمشّطُ شعرها

التينةُ الكبيرة في زاوية الحديقة

بدتْ فجأة أرملة

فقدَتْ ظلّها

عريشَةُ العنب
بدت هزيلة وشاحبة
لم تعد يده الخضراء تلملم عناقيدها

بعثرتْ الريحُ أوراقَ شجرة التوت
أبي و الخريف.. يعْرفان
سرَّ عريها

**

حِرْتُ فيما سأقوله للياسمين
عن غيابه
مرَّت الفكرةُ غيمة بيضاء
وأمطرتْ

أزهارُ الباتونيا
طارت مثل فراشاتٍ ملوَّنَةٍ
بحثاً عن منبَع النور
ثم نامت بجواره

تلكَ الفلاحة

تلك الفلاحةُ ..
لم تفلحْ في أرض ذويها
لم يَصبَغْ وجنتَها قيظُ الشمس
لم تتشققْ يدُها في زرع البيدَرْ
لم تتصبَبْ عرقا في جَني البَقلةِ والزَعتَرْ
لم تعصُرْ زيتوناً
لم تجرُشْ عَدَسا وفريكاً
لم تَعجِنْ خُبزَ الطابون
لم تَذبَحْ ديكا رومياً؛ كي تُكرمَ ضيفاً
تلكَ الفلاحةُ لمْ تَلبَسْ ثوبَ الصاية
كالجَدةِ /كنساء الحَيّ
لم تَنسجْ أحلاماً بخُيوطِ القصَبِ

لم تعشَقْ ولَداً مرَّ بشُرفتِها

لم تَطرَفْ فرَحاً عيناها

لم تنقُش حناءَ العُرْس على كَفيها

لم تُنجِبْ عشرَةَ أطفالٍ

لم تملأ ضِحكَتُهُم جرَّتَها

وزوايا البيت

تلك الفلاحةْ
لم تفلحْ في أرض ذويها
لم تُفلِح في الغربة

أن تُصبح شيئًا

ضوءٌ أزرق

ضَوْءٌ أزْرَقُ يخاتِلُ القلْبَ

يقتربُ، كأنَّه طيفٌ

أمْشِي وراءَهُ

أنْسَى

أنَّ طريقًا واحِدَةً لنْ تضمَّنَا

ضوءٌ شحيحٌ

يسترقُ لي من السَّمَاء سِرًّا

لعلني أهتدي

أو أرى ما وراءَ الشَّمس

أصنع سلمًا من خيوط النور

أصعدُه،

كي تسقطَ العتمةُ عَنْ كَتِفيَّ

(قيلَ أنَّ الروحَ تصعدُ).

رؤيا بيضاء

رأيتُه يَمْشِي عَلى الماءِ مُمْسِكًا بيدي

هذا ما قالته الفتاةُ لأمِّها

لمَّا أحسَّتْ شرودَهَا

ورأتْ غمَّازَتَيْهَا محفورتَيْن كلؤلؤتَين على خدَّيْهَا

رأيتُه كالطَّير يخفقُ في الزرقَةِ

يحمِلني سنبلة شقراءَ بينَ شَفَتَيه

كلّ ما فيه يا أمي لاحَ في العتمةِ أبْيَض

صدرُه، كفّاه، أنفاسُه

رأيتهم كالثّلج على السّفوح

ولمّا ذابُوا

رأيتُ أنَّ الموتَ أبيضُ.

مرآة

الحانةُ
خلتْ من الوجوهِ
والقهقهاتِ المقهورةِ
لا شيء أمامَك
سوى كأس نصفها فارغ!
تثمِلك الوحْدة
تُثملكَ...
تلتفتُ حولك
ترى ظِلاً ثملاً في المرآة
تحدِّقُ في عينيهِ
ينشقُّ الظلُّ
يهربُ

محراب

أخلعُ نعلي،
أقصيه بعيدا
في الركن
أدخلُ المحرابَ حافية
أغسلُ يدي ثلاثا
أغسلُ وجهي ثلاثا
أمسحُ بحفنة ماء شعري
أمرّرُ فائضًا منه
على عنقي
بماء الزهر أتغرغرُ
وحين ألامسُ أرضَ الحبِّ بأقدامٍ مبللةٍ
أحسُّ العمرَ بستانا
من الشوكِ.

عاريا منك

بَعدَ قليلٍ
تَحمِلُ نعشَ نهاركَ على كَتِفَيكَ
وتمْضي إلى الليلِ وحيداً
عارياً منْكَ
من جلدِكَ المصنْوعِ بالخَيبَةِ والتْكْرانْ
بعدَ قليلٍ
تطْفو بأخْشابِ انكِساركَ
علَى بَحرٍ من الدَّمع
تلوكُ بأنْفاسِ الغرقى
صلاةً أخيرةً

ويعدُّ لي فرحًا

نهارٌ يُعدُّ ليْ فرَحاً
لا أقوى على الذَهابِ إليه
بمفردي

نهارٌ يعدُني بالكثير
وينتظرُ.

نهارٌ يقولُ لي:
منذ زمن لم اقرأ لك شيئًا
من الشعر.
لستُ حزينة بما يكفي
لتكتبَني القصيدةُ

نهارٌ أولُه لا يشبه آخرَه/
لا يشبهني.

نهارٌ يأتي خفيفا
ويرحلُ مُثقلا بالتذكر
....
أبحثُ في دفتري
عن عناوينَ قديمةٍ
لمْ أجِدْ سوى أسماء
لم يجف حبرها.

الصمتُ لغةُ الموتَى
الصمتُ وجهٌ يُحدّقُ في الجِّدار
يُحَدّقُ بي.

أدسُّ يدي في غيمةِ النهار

ضوء ينبجسُ

من حيثُ لا أدري

من حيثُ لم تندسْ يدي.

حين يجتمعُ الضدان

يَمشيان معًا

يَستريحان معًا

ضدَّان لا يفترقان.

هيَ مُتَّشحة بالسَّوَادِ

هوَ مُتَّشحٌ بالبياض

وفيما رأسُها ترتاحُ على كَتفِه العَريضةِ

بدت السيدةُ كأنها تحدِّثُ نفسها

ربما تَستطيعُ البقاءَ بعيدةً

بين سحابتين تهزان الطائرةَ/

لعلّ كأس النبيذِ تقعُ منْ يدِ زوجها /

لعلّ رأسه المرتخية على زجاج الشبّاكِ تنتبهُ/

تمتمةُ الطفولةِ بينَ أصابعِها/

دعاءٌ يصعدُ معَ الطائرةِ/

عيناي تعرقلان شفتيها/

وهي تردّدُ

إنّكَ لن تهديَ من أحببتَ /

ربَّمَا أخطأت الظنّ.

حينَ تُسَافِرُ ليْلا بالطَّائرةِ

لا تفكِّرْ بالظَّلام الذي يُحدِّقُ بكَ

فكرْ كم أنتَ قريب من الغدِ

كم أنتَ قريب من الله

فكِّرْ بأمِّك

وهِيَ تهزُّ لكَ السَّمَاءَ

وتعدُكَ بذبح فرخين منَ الحَمَام،

لمّا تعودُ إِليْها /سَالمًا.

وقبل أنْ تهبطَ بكَ الطّائرةُ

لا تفكرْ بالأشياء الّتِي

أجْبَرتكَ عَلى السّفر

فكرْ كيفَ تَجْعَلُ الأرْضَ /أي أرض

تحتَ قَدَمَيْكَ

وَطَنْ

وحين تلامسُ قدماك ترابه

اشكر السَّماءَ

فكرْ بالجاذبيةِ

بالتفاحةِ الخضراء

فـي يدِ الطِّفلِ الواقفِ ببابِ المَطار

ينتظرُ الهَدِيّة.

في الطريق إلى البيتِ

قلْ لسائق التاكسي دون خَجَلٍ

لا شيءَ في هذا الكون

ينسيكَ حضن بيتِكَ

أنفاسُ القطار

من نافذةِ القطار

تُطلُّ الحياةُ بشكلٍ مختلفٍ

تركضُ المشاهدُ إلى الوراء

ثمة أشجارٌ تلوّحُ،

بيوتٌ تعودُ إلى أوكارها

والنهرُ كالذاكرة

يعاندُ الريحَ

منذ قليلٍ
كان كلٌّ شيءٍ ساكنا
عدا اللهفة المطلة
من عيونِ المسافرين.

العاملُ لا يودّعُ أحدا
يبتسمُ لكل المسافرين، يحملُ حقائبهمْ
ليس ثمة مقعد يخففُ عنه تعبه.
ولا ينتظرهُ في المحطة
غيرُ الأرصفةِ

القطارُ
يحتضن المسافرينَ،
لا يفرّقُ بينَ حزنٍ وفرَح
الأرصفةُ ترسمُ طريقهم.

رجفة الأرض تحتَ أنفاس القطار اللاهثةِ
عقربا الساعةِ المتلاحقان
لهفةُ المسافر
لذّات بالوصول
تكتمل.

بيتي

بيتي من زُجَاج

لا طين يكسوه/ لا شجرَ

بيتي من زجاج

تخدشه انعكاساتُ الظّلال على الظّلال

و ارتعاشاتُ المرايا

تشابه

أشبهُكَ ولا أشبهُكَ

أكبرُكَ قليلا في خارطةِ الحزن

في خُطوطِ العتمةِ

وفي انمحاء الظلِّ

فلامنجو

كأن الحياةَ
رقصةُ فلامنجو صاخبة
تنتهي
غالباً
بإيقاع سريعْ

الصحبةُ أيضًا
رقصةُ فلامنجو مبهجة
تنتهي
بخبطةِ قدم.

مسافة

ضُمّي ساقيك جيداً..

يا مسافةُ

لفّي الساق مشدودةً على الساق؛

كي لا تبدّد الريح

خطانا.

أشياء تؤلمني

ثمَّة أشياءٌ لا أتذكَّرها..

تؤلِمُني

هذا تَماماً ما كنتُ أحاولُ مَحوَهُ

من ذاكِرتي

قاع الضوء

ثمَّة حاجزٌ صغيرٌ بيننا

أسميته "الهاوية"

لو تخطَّاها كِلانا

لكنا الآنَ

في قاع الضّوء

مُتعانقِين.

جثة الليل

جثةُ الليلِ هامدةٌ على السرير

البردُ يُجفّفُ عرقَ القتيلة

فيما القاتِلُ يصفرُ لحناً.

في ذمَّةِ طُهرها.

غواية

بينَ العتمةِ ورنّةِ الخلخال

شارعٌ

مرصوفٌ بالغواية

ربابة

الكلابُ تعوي ببابِ البيت؛

لتقطعَ ربابة الصمتِ

الناشزة.

أحلامنا

أحلامنا دبابيس.
لذا
تنزفُ منا
الحياةُ

شغف

قولوا للنهر يبطئ الجريَ
في مجراهُ
حين تمر بمائه شفتاي

حبّة

تذكرتُ كلّ ما قلتُه عن الحبّ

وأنكرته

الحبّ

ما أحسُّه الآنَ

فقطْ

وله..

هكذا تميلُ أغصاني

في لحظاتِ التّجلي.

هكذا أتكسّرُ

في الوله

صداع

رأسي تؤلمُني/
متى تنتهي
أوجاعُ الذاكرة.

إبن الذاكرة

لا شيءَ يشبهُك يا ابنَ ذاكرتي
و أمّك من تراب
لم يخالطه ماء
ظلان منْ وهمٍ
جئتما
إلى سراب
تمضيان

أمي

زيتونةُ الدّار
في الظلمتين
تُضيء

دليل

غداً أصحو
أفتش في الوجوه
عن وجه قاتلي
لكنني ككلّ القتلى
ينقصُني الدليل

موته

لأنّ النومَ
موتٌ تعقبه صحوةٌ
أريدُ أن أنامَ
بطريقةٍ مبتكرةٍ
ماذا لو تقاسمنا الموتَ
على سرير واحد.

رائحة القهوة

حين أشمُّ رائحة القهوةِ

عن بعد ميلٍ،

من دارنا

أعرفُ

أن الموتَ زارنا

وجه

لو أنّ لي وجها آخرَ
لكنتُ أخفيتُ وراءه
تجاعيدَ الرّغبة
التي
أفزعتِ الذئبَ
الرابضَ فيّ.

صدارة الوقت

كُلُّ الحكَايا

ظِلالٌ هَزِيلَةٌ

للنِهَايَات.

{...}

/..وكلُّ طَرِيْقٍ مُزْهِرَةٌ

تَمْشِيْهَا العَاشِقَةُ

فيها هَاويةٌ

لا مَاء يَغسِلُ خَطَايَاي

وحِيْنَ عَزَمت التَيَمّمَ

لمْ أجد علَى الأرْض ترابا

ألهذا

صرتُ حجرًا؟.

{...}

أرتَدِي الشَّمْسَ قُبَّعَة وأغِيْب
أتْرُكُ ورَائِي سَمَاء وضجرْ
وضِيقَتِين من أرقْ
أتركُ ورَائِي مَرَاكِبَ
تَعِبَ مَلاحُوهَا
مِنْ صِنَارَةِ الوَقتِ
أرتَدِي الشَّمْسَ وَأغِيْب
أتركُ وَرَائي نِصْفَ امرأةٍ
تَسْقِي البَحْر ملْحَ أغنيةٍ
يَعْزِفُها الرَّمْلُ وتنثرُهَا الرِّيْح
أرْتَدِيْ تَعَبِي ..وأطِيْرُ

أترُكُ ظِلّي علَى الأرْض
يرفُّ ويَرْقصُ
فوْقَ رؤوس المُتْعَبين.

عينُ الرَّجُلِ المُتَوَرِّمَةُ ..

تُؤْلِمُنِي

عينُ الرّجلِ الثّانيَةُ تكادُ تقولُ :

كفي عينيك السليمتين عنّي

{...}

أحدّقُ فِي عقرَبَيْن

عَقرب يتوسَّدُ بَيَاضَ جِلْدِي

وعقرب أتوسّلُ إليه :

كفَّ أذاكَ عَنِّي.

مسّني من السّماء فرح

تقول شكرا للسماء
لانها "أي السماء"
أجلت وقت الفرح .

{...}

مسَّني منَ السَّماء فرحٌ
كلُّ تعاويذِ السِّحر
احترقتْ في بُخور هذا المساء

{...}

يدٌ غلاميَّةٌ خشِنَةٌ
تَحْصدُ قمْحَ الروحِ؛
لتستريحَ.

{...}

عبْرَ غيمة بيضاء عَبَر،
رذاذٌ باركته السماءُ
هطل .

{...}

يا له من يومٍ

لا غبار فيه، لا ضباب

لا خوف يسكنُه لا خرافة

بداياته لوتسٌ أبيضُ مكتملُ البهاء

هذا الثلاثاء

{...}

أكثرُ من رعونةِ خطواتِنا الأولى
نحوَ الحياةِ
أكثرُ من دموعٍ ذرفناها
لحظةَ لقاءٍ.
أكثرُ من سوادِ سهدٍ تكدَّسَ حولَ جُفونِنا
كانتْ القصيدةُ.

{...}

أعدُّ الشايَ
أضـَعُ كوبين من البُورسلان الأبيض
على صينيةٍ/ تزهرعلى أطرافِها
شقائقُ النعمان
/زهرُ عبادِ الشمس/ وهاتان اليدان.
أرتّبُ الظهيرةَ بما يليقُ لمروره
نافذة تُطلُ على الطريق البعيدة
ستائر خمرية
تكنسُ البرودةَ/ خوفَ الغريبةِ
مِنْ خماسين الغياب.

{...}

القلبُ لم يعدْ عدوَ نفسِه
لم يعدْ له مِن الأعداء أحد.

{...}

يدٌ تزْرَعُ التفاحَ
يدٌ تقطِفُه
يدٌ تقشّرُه/يدٌ تنزعُ بذوره /تقطّعُه
يدٌ تعصرُه
يدٌ تصبُّه في الجرار
يدٌ يكفيها صَبُّ الشَّراب في الكأس
لتثمل.

{...}

رائحةُ القرفةِ تَفوحُ مِنْ الشّمْعةِ المشتعلةِ
لهبٌ أحمرُ يرقصُ في العَتْمَةِ
لهَبٌ خفيفٌ يرسِمُ للفراشةِ
طرَيقا إلى الخَلاص أقربْ.

{...}

خمسُ ساعاتٍ مرّتْ على انغلاقةِ البابِ
سجائرُ كثيرةٌ احترقتْ
و أنَا أقِفُ مَا بيْنَ بَين
أتشبَّثُ بمَا يُخبّئُه ليَ الصيفُ
خمسُ ساعاتٍ مرّتْ لا أكثر؛
لتنضجَ فاكهةُ اللهفة.

{...}

صوتُ المغنيةِ الأوبرالي
يتشكّلُ غَيمة في سماءِ الثلاثاء.
لغةٌ أعرفها
لغة لم أعدْ أفهمُها الآن
لغةُ ما قبل المطر.

{...}

وجه بائع الفضة
عين القط في
الواجهه الزجاجية
الخواتم، الأقراط، الأساور
القلادة الفرعونية القديمة
حبات المرجان والفيروز
زفوني، على فرس من الخيال، إليكَ
بينما عيناي ظلتا تزفان المكانَ

{...}

الطريقُ الزراعيُّ
يمتد بين قلبين، أخضر
النخلاتُ التي تصطّف كعساكر الوقت
ترفع السماء قليلا
لعل الطائرة
تؤخر موعد إقلاعها
بضع ساعات
أو يزيد

{...}

يئنُّ و يده على قلبه ،
يشتمُ و يده على قلبه،

يتابع بورصة الأسهم

ويده على قلبه

وحين يحب

يحارُ أين يذهب بقلبه.

{...}

حصانٌ يَمْشِيَ، بَعِيدًا،
عَلى حَصَى الرُّوحِ.
طريقُ الحَصَى صَارتْ عُشْبًا
والرُّوحُ حَرِيرْ

{...}

حَتّى
إلى الفَرَحِ
أمْضِي وحيدة

II

في عشق العنقاء

أدرَكَنَا الإعْيَاءُ ، كانتْ أكثرُ جمَالاً وكُنتُ أقلَّ حُزنًا لمْ نَبلُغ القمّة بَعْدُ غيْرَ أنّنَا أدرَكنَا ذرْوَةً عَالية وكَانَت العَوْدَةُ أمْرًا مُستَحيلاً كَيْفَ أمكَنَني الوُصُولُ إلى هُنا وهي غيْرَ الآنَ، كَانَ عَلَيْنَا أنْ نَرْشُوَ الطّقسَ ونَكْتري مَراكبَ ضَوْء منْ قصَائدَ لمْ يَقُلْهَا أحدٌ لكي نصل.

"فيمَا يَخُصُّني أنَا لستُ مُحتّاجًا لأحَد يُوصلني إلى ذرْوة الغيَاب ومَنْ عَادَتي أن لا أمتَطي سَيَّارَةَ أجْرَة."

كُلُّ الطُّرُق -قصرت أو طالت- تُؤَدّي إلى اللّيل ولَيْسَ من عَادَتي استدْرَاجَ النّوارس لتأخُذني إلى البحر،" يَكْفي أن أستَمعَ إلى هايدن كَي أجَنَّ." أنَا

الآن أشَدُّ حرْصًا منْها علَى أن تَذهَب وَحيدَةً يَصْحَبُها جَمَالُها.

لنْ أدَّعي شَيئًا، قيلَ أنَّ الفَرَح والبُكَاء مَدْعَاةٌ لسُؤَال الناس، قيلَ أنّه مدعاة للجنون، وقيلَ أنَهُ يَذهَبُ بصاحبهِ إلى الريح حيثُ لا شيئَ أهم مما اختزلته الروح من ترانيم الغناء.

-كانتْ أقلُّ حزناً مما ينبغي، رغمَ أنَّكَ وقفتَ طويلاً معها وفي خاصرتِكَ ينغرزُ نصلَ الحيادْ، كذَّبْتَ حواسَّكَ كلَّها،لم تُصدِّقْ أنَّ المرأةَ الجميلة خفيفةُ الظلِّ، رفيعةُ المقام، حلوةُ المعشر، المشهودُ لها بالكرم والعطاء... كانت لصة!. سرقتْ منكَ عمركَ دونَ أنْ تشعر بأنَّها سطتْ على أيامِكَ وذكرياتكَ وأفكاركَ وأحلامكَ، كنتَ

متواطئاً معها وراضياً، وأراهنك بأنّك لمْ تشعر بالندم على ما ضاعَ منكَ في صحبتِها رغمَ أنّ خساراتكَ فادحة، وكانتْ كالعنقاء تطيرُ في سماواتٍ بعيدةٍ تلملمُ الخرابَ، فيما وهمُكَ الجميلُ جعلكَ تظنُّ أنّها ممكنة أو قريبة.

بين المستحيلِ والممكنِ، ضاعتْ أعوامُكَ الكثيرةُ، فرّتْ من بين أصابعكَ كحفنةِ رملٍ ناعمٍ لم تعرفْ كيف تقبضُ عليها جيداً، فالمرأةُ خفيفةُ الظلِّ ملّتْ رؤيتكَ يوميًّا ، ملّتْ سماع أحاديثكَ، ملّتْ عزلتَكَ التي فرضتها عليكَ وقبلتها طائعاً صاغراً غيرَ آبهٍ بعجلةِ الزمن التي سحقتكَ بلا رأفةٍ رغمَ كلِّ ادعاءاتِكَ بالذكاء وفهمكَ لأصولِ الفرضيةِ التي تقولُ بأنَّ العمرَ الافتراضيَّ لعلاقةٍ مثلَ هذهِ لنْ تعمَرَ طويلاً، لكنْ كيفَ أمكنكَ أنْ تصمد كلَّ هذا

الوقتِ وتطيلُ عمرَ الوهم، علامَ كنتَ تُراهنُ حينَ تركتَ العالمَ وجاورتَها كمنْ يجاورُ قبرَ وليٍّ، أيُّ بركةٍ كنتَ تنتظرُ من مكوثِكَ ببابِ المقبرةْ، أيُّ خيرٍ كنتَ تظنُّ أنَّهُ سيأتيكَ منها سوى الغبارْ.

تُفكرُ أحياناً في الجريمةِ التي ألقتكَ في عتمةِ البئرْ، وما منْ قميصٍ تُلقيهِ الريحُ في وجهها كي ترى الحقيقة كما يجبْ/ وما منْ قميصٍ لترتدّ بصيرتها فهي أبعدُ عن يوسفٍ منكَ، الأقربُ إلى الذئبِ الأقرب منكَ إلى يُوسُفْ، وقد كانَ الذئبُ بريئاً من دمهِ، وكانتْ هناكَ،ولم تشهد! فقد كانَ قلبُها آثماً بالغيابِ وكانتْ الشهادةُ مدخلاً إلى اللهِ والجنّةِ والجلوسِ إلى الأولياء الصالحينْ، الذينَ يشهدونَ من غيبهم أنّكَ كنتَ بقلبكَ معها، بينما كانتْ بقالبها تتسلّى بكَ، وتحرقُ التبغَ تباعاً مع

فناجينِ القهوةِ كي تقرأ لها طالعَها وتمجّد حسنَها الأخّاذَ، وما إن تتوقفْ لأيِّ سببٍ طارئ عن فعلِ ذلكَ حتى تطفئَ سيجارتَها الأخيرةَ، تفتحُ لكَ البابَ على أكثرِ من احتمالٍ يغريكَ بالعودةِ، لكنّكَ أخيراً تُغلِقهُ بهدوءٍ على يقينٍ من ذهابِكَ هذهِ المرَّةَ بطريقٍ ليسَ به عودةٌ، فما تبقّى من العمرِ لا يحتملُ هذا الوهمُ مهما بدا للرائي أنَّهُ ممتعٌ وجميلٌ .

ما لم تقله العرّافة

لم تقلِ العَرّافةُ شيئًا أكثرَ مِمَّا قرأتْهُ فـــي كِتَّـــابِ الغيب، ومَا استشْعرتْه في عينيكَ من خَوفٍ، وَمَا لمَحَتْهُ في شَفَتَيْكِ من تردُّدٍ/ وما لمستْه في تجاعيدِ وجهكَ من توتّرٍ واضطرابٍ/ العرافةُ لم تختلــقْ قصصًا خُرَافية وملاحمَ بطوليّة لتعرفَ ما يجولُ برأسِكَ من وساوسَ، لم تــستدع أحــداثا داميـــة ومآسي لم تحدثْ حولكَ لتفهم رغبتك في استدرار عطْفِ كلّ منْ هُمْ حولك، كلُّ ما قالتْه العرافةُ كان مكتوبًا على جبينِكَ الضَّيِّق الذي غزتْه التجاعيــدُ، لم تقلِ العرافةُ شيئا أكثرَ مِمَّا رأتْه وقرأتْــه فـــي كتابِ الغيم الذي غطّى وجهَك. لذا حين تلــسَعُك الشمسُ قلْ بأنَّ العرافة لم تخطئْ التقــديرَ، بـــلْ

أخطأتِ الرّيحُ إذ غيرتِ اتّجاهَ غيومِ ظللتْك وحجبَتْ عنكَ قيظَ الشمس، لكنّك ظللتَ ممعنًا في البحثِ في كتبِ الفَلكِ عَنْ معنى لما حدَثَ، وكذّبتَ العرافة وطقوسَها المتأنية في حرْق البخور ، كذّبْتَ فنونَ التمتمةِ وَأوقعتَ نفسَكَ في دوامةِ الشّكِ والتّفكير.

لم تقلْ العرافةُ شيئًا أكثرَ مِمَّا قرأتْه في خطوطِ وجهكَ من عبوسٍ، رغمَ تظاهرك بأن سربًا من الحمامِ الأبيضِ يرفُّ حولك، يدلُّكَ إلى طريق الهَدِيلِ. كنتَ تجهلُ أنَّ العرافة تقرأ خطوطَ يديكَ كَمَنْ يقرأ كفًّا أوغلتْ في الغيابِ.

سمعتُكَ تلعنُها جهرًا، وتحدِّثُ المارّين عن كيدِها وكذبِها، راقبتُكَ وأنتَ تُحاولُ غسلَ ذنوبِكَ كلِّها

بماءِ بئرِها، لمحتك تختلسُ النظرَ إليها من ثقوبِ الخيزران المصنوع مِنْهُ بابها، قـرأتْ تمتمـاتِ شفتيك وأنتَ تشمُّ النحلة التي دأبتْ تدورُ حـولَ أنفِكَ قبلَ أنْ تمدَّ يدُك بحذرٍ لتهـشَّها؛ مخافـة أن تحرّكَ الريحُ بابَها فينسابَ اللحـنُ مـنْ ثقـوبِ الخيزران حزينًا كنهايتِك، فهمتْ خوفكَ مـنْ أنْ يفشيَ النايُ للنّاسِ سرّك المدفونَ في بئرٍ مظلمةٍ، سرّك الذي انكشفَ أمرُه لها دونَ غيرِهَـا، لهـذا صببتَ عليها نيرانَ غضبِكَ، ولعنتَها بقسوةٍ كمـنْ يلعنُ شرًّا مستطيرًا، كل محاولاتِها لتهدأتِكَ ذهبتْ سدًى، أخبرتْكَ أنَّ الوشاية تـورثُ الـسَّوادَ فـي القلبِ، كما الشك يطفئُ النورَ في الـرُّوح كمـا الغيرة تقتلُ الحبَّ، كما الوساوس تـورثُ الأرقَ، كما حدة الطبع تقطعُ حبلَ الودِّ وقسوة اللوم تفتحُ في الجدار الصخريّ العالي ألفَ بابٍ للهروبِ.

كنتَ تسألها، فتجيب، على قدر السؤال كانتْ تجيبُ، كنتَ تطمعُ في معرفةِ المزيدِ، ولما كانتِ العرّافةُ تدركُ أنّ قلبَك في قساوةِ الحجر، قالتْ لكَ في يوم عاصفٍ: أنّ البئرَ التي جئتَ منها ماؤها آسن، وأنّ الحبالَ التي شددتّها حولك لن توصلك إلى سدرةِ المنتهى، ولمّا لم تكترثْ بما قالته رجتْكَ أن تذهبَ إلى النّهر وتتوضّأ بمائه لعلّه يمحو السوادَ عن قلبك، لكنّك أدرتَ ظهركَ لها، حينها نفختْ على البخور المشتعل أمامَها بقوّةٍ وحينَ تصاعدَ الدخانُ كثيفاً من المبخرةِ قالتْ هذا ما يفعله السوادُ بصاحبه، يمنعُه من الرؤيَةِ والتصديق، وحين لمحتْ الدبابيرُ تخرجُ من أذنيك قالتْ مثله لا يسمعُ صوتَ الحقّ، مثله لا صوتَ حوله سوى صوتِه، مثله حرمته الأمّارةُ بالسوء من محاسن الإصغاء ونعمةِ التّصديق.

معاً في مرجل الليل

كانوا قد حذّروك من قبلُ، أنّ الاقترابَ منها يشبهُ الاقترابَ مِنْ بناتِ آوى، إذْ فـــي البـــدء يغـــوينَ العاشـــق بجمـــالهن ودفـــئهن، وحـــينَ يستـــسلمُ لِسحرهن، يَنهشْنَ لحمَه نيئا، يُجَرجَرنَـــه غـــزالاً جريحاً إلى مخابئهن السرية، ليشمَّ عطورَهن تلكَ التي يصنعنَها من مسك الضّحايا وعرق الغوايةِ. ثم ينتهزنَّ الفرصة لتقطيعـــه، لا يـــردهنَّ عـــن افتراسِه رأفةٌ أوعاطفةٌ.

كانَ إصرارُك على الوقوف ببابها ليلاً دونَ مللٍ، قد جعلها تشتهي النومَ، وجعلها تتقلّبُ على جنبيها دونَ جدوى، و جعلها تحدّقُ في السقفِ لـــساعاتٍ وساعاتٍ، وجعلها تَرى بقعةً سوداءَ تتحركُ فـــي

جميع الاتجاهاتِ التي ترنـــو ببـــصرها المنهـــكِ نحوَها، إصرارك جعلَ بقعة السواد تتحولُ فـــي عينيها إلى عنكبوت لا يتوقفُ عن غزلِ خيوطِه حولَها، إصرارك على طرق بابها بقـــوةٍ جعلَهـــا تلجأ للصراخ أحيانا لتردَعَـــك عـــنْ محاولاتِـــك البائسَةِ في إقناعها باللحاق بك، لكنّ صوتَها فـــي كلّ مرّةٍ يخذلُها إذ ينحبسُ بينَ وترين مـــشدودين يمنعان الهواءَ منَ الدخولِ إلى رئتيها، وكانَ هـــذا سببًا كافيا لجعلِها تنخرطُ في نوبة بكاءٍ صـــامتٍ، لا يسمعُه أحدٌ.

والليلُ أطولُ من حبالِ الصبر، و أصدق من كل الحكايا والأقاويل، والليلُ أكثرُ حنواً مـــن قلـــبٍ نهشَته الوحدةُ ومزقةُ الشوق، والليلُ أشهى مـــن جسدٍ اتسعتْ بحرارةِ رغباتـــه كـــلُّ المـــسامات،

والليل مرجلٌ من حطبٍ مشتعلٍ يجتمعُ حوله كلُّ مريدي الدفء من العشّاق، والنارُ ملاذُ الفراشاتِ التائهةِ والفراشاتِ التائبةِ والفراشاتِ الحالمةِ بالنهاياتِ، والنارُ حارس الصحراء الليلي يذبُّ بنات آوى بعيدا ويمنعهن منَ الاقترابِ من مُتيّم هاجع ببابٍ هشٍّ يفصله عن أحضان المرأة الوحيدة التي أحَبها ، ولما أكلت النارُ الخشب صارت بردًا وسلامًا عليهما و صار اللّهبُ ستارا من دخان غَيّبَهُما معا.

في حضن البحر

أصحو فزعة كمنْ لدغته عقاربُ الوقتِ، أقفزُ من سريري، أركضُ إلى النافذةِ، أفتحُها لأعبَّ هواءً نقيا طاردةً من رئتيّ رطوبة حجرةٍ بدا لي أن الشمسَ لم تزرْها منذ زمن، ينطبعُ مشهدُ المدينة كصفعةٍ باردةٍ على جبيني محكمة التسديد، يئنُّ السؤالُ في شحوب الرؤيا، أين أنا؟ النوارسُ لا تشي بأسماء المدن الغريبةِ مثلي وتكتفي بإعطائي ظهرها وفرد أجنحتِها المذعورة، النوارسُ لا تلتفت لصوتي المبحوح، تواصل التحليقَ في الفضاء فيما زرقة البحر تحدِّقُ في عينيّ وتستحثُ فيهما شيئا من الدّفء.

بحدة أقل اتساعا أتساءلُ ..أين أنا ؟ الذاكرةُ امرأة هرمة والبحرُ رجلٌ طاغ كلما رأيتُه أنسى كلَّ ما حفظتُه من أسماء ومدن وأشجار، أغمضُ عينيَ قليلا، و طيفُ أمنيةٍ بعيدةٍ يمرُّ خاطفا في خاطري المظلم، ماذا لو أفتحُ عيني بعد لحظـــات وأجـــد نفسي في مدينة سكنتني بتفاصيلها ولم أســـكنْها، أركض في طرقاتِها المرصوفةِ بحصى صـــغيرةٍ وأعبرُ معَ المشاةِ ممرَّاتِها الضيقة، أسكنُ في بيت من بيوتِها البيضاء وأستندُ علـــى نافـــذةٍ مطليَّـــةٍ باللَّون الأزرق، أراقبُ عبورَ الشَّمس إلـــى مـــا وراء البحر، وأحتسي الشايَ باللَّوز بأحد مقاهيها الصاخبةِ المعلَّقةِ كأيقونَةٍ على صدر الجَبَل، أحلم بعقودِ الياسمين يعلقها الأطفالُ على صـــدري ... أبتسمُ وانا أتخيَّلُ البياضَ يمحو عن كلينا أكـــوام الرماد (وجهي وسماء هذا النهار) ...آه "ســـيدي

بوسعيد" ..متى يحملني سرب حمام مهاجر إلـــى

أحـــــــــــضانك مــــــــــن جديــــــــــد.

اللعنة عليك

جئتَ متأخرًا جدا .

عشرون عاما بانتظاركَ ولم تصلني منك إشارةٌ تطمئنني أنكَ على قيد الحياةِ ، ولمّا غزا رأسي القلق، تحريت غيابك، سألتُ عنكَ شيخ الطريقةِ الذي يرتدي عمامة على رأسه، أبلغني أنّك ميتٌ حكماً، لم أصدّقْ ما قاله، كتمتُ استنكاري ، هزَزْتُ رأسي بأسى ومضيتُ، لم يقنعْني موتُك الحكمي، إذ لا شيء يقنعني بموتك سوى أن أرى الموت بأم عيني، وعيني لم تعد تبصر النورَ، صرتُ امرأةٌ تمشي بعين مثقوبةٍ، لا يعولُ على حقيقةِ ما تراه ، لأن الثقب يستأثر بالضوء، والضوء النافذ في الثقب، لا يكفي لكشف

المستور، غيابك ستر لا يكشفه إلاّ نور نافذ في الروح، يضيءُ الطريقَ الذي سرت فيه طويلا بخطىً تائهة وقلب معطوب.

نعم قلبي تعطلَ بفعل الترك ، أصابَه رصاصُ غيابك الطائشُ، عشرون عامًا ولم يبرأ الجرحُ، عشرون صيفًا ولم يجفْ النزف، عشرون خريفًا ولم تمطرْ بعدها السَّماءُ على رأسي المشتعل بالأسئلة والشيب.

عشرون يبابًا مروا عليّ تركوني كأعجاز نخلٍ خاوية تعوي بها الرِّيحُ كلما هبَّت، حتى صرت قصبا منخورا، قددته الشَّمسُ وعافته الأرضُ، تمامًا كما لفظته السَّمَاءُ ولم تحمّله سرَّها الإلهي ، واكتفتْ بأن تحمّلني وزرَ غيابكَ وقد أصبح سرَ الأسرار.

حملت جرةَ التّعب على كتفي ومشيتُ، ظننتُ أنَّ الرحلة قصيرةٌ، هكذا خيِّل إليّ، لكن الطريقَ أكل من قدمي فرسخين. ما تبقى منهما انغرز في أتون الرَّملِ المشتعلِ، أحسستُ فجأةً بالتعبِ، تمددتُ، فيما الجرةُ فاغرةٌ فمها بشراسةِ الظمأ، القيظ يلفحُ وجهي، جسدي ينتفض بكهرباء الخوف، بدا لي أن ظلالا منك تطاردُني، ارتبكت، أحسستُ بفأرةِ الشكّ تركض بين ضلوعي وتقضمُ من خشب روحي، تلاطمت في عينيّ الرؤى، فاضت منهما الدّموعُ ، عضضتُ على شفتي كي لا تنفلتُ من أعماقِي صرخةٌ تفضحُ سرَّ لهفتي عليك وأخيراً غفوتُ، رأيتُ فيما رأيتُ في نومي أنّي سفينةُ صحراء ، أجترُّ الألمَ ، أحمله سنامًا على ظهري وأمضي، لا أشكو من تعبٍ، عدتُ أسألُ عنكَ الطرقاتِ

والأشجار، وشيخَ الطريقة ذا العمامة التي ضاقت على رأسهِ، والعرافة التي لم تعدْ تتقنُ قراءةَ الودع بعدَ انكشافِ آيات وداعتك لها.

اللعنةُ عليكَ أيها الحبُّ ألف مرَّةٍ، إن كانت اللعنةُ تشفي غليلي الذي لن يبرّئه رجوعُك المتأخرُ من مظنّة الفقد من جديد.

لم يعدْ يهمُ إن كانَ ثمة من تبقى من هؤلاء ممنْ كانوا يحرصون على تتبّع أخطائي، نعمْ كبرتُ ، وتضاءلتْ مساحةُ الخوفِ في روحي، صارَ بإمكاني الآنَ أنْ أسحقَ كلَّ ما خلفوه بداخلي من ضجيج، صارَ بإمكانِي أنْ أمشيَ وحدي دونَ خوفٍ من الظلمةِ، لأنّي ببساطةٍ ألفتُها، أشعرُ أني بتُ أشكلُ معها ثنائيا رائعًا ، فالظلمةُ والصمتُ يؤنثان وحدتي ويملآن روحي بالسكينةِ، لم أعدْ أتلفّتُ حولي حينَ أمشي في الدروبِ الموحشَةِ، وانقطعتُ عن عادةِ الصراخ عالياً كلّما رأيتُ ظلا يترنَّحُ حولي، ثمة طمأنينة

أحسُّ بها تؤكّدُ لي أنّه ما من أحدٍ يتتبعُ أخطائي أو يحصيها.

أصحو على زقزقةِ العصافير، أتساءلُ كم أحتاجُ من الوقتِ لأتعلمَ لغة الطير، تعبتُ من اللّغةِ ومن الكلام، ليس ثمة من يفهمُني على هذه الأرض، ليس ثمة من يستحقُ عناءَ المحاولة من جديد، يمّمْتُ وجهي نحو العصافير أنصتُ لحديثِها اتهجّاً غناءَها أردّدُ ما تقوله بين الفناء وبيني، لعلّي أتقنُ فنونَ التأمّل والحكمةِ منها، لأحلقَ عاليا.

مع فنجان القهوةِ تبدأ نهاراتي، في بقاياه أرى
وجوهًا تشبه أصدقاء عرفتُهم في زمن سابق،
وجوه رقّت ملامحُها، بدت أقل قسوة، وأكثر
حميمية ودفئا مما هي عليه في الواقع ، وكلّما
حركت قهوتي بالفنجان، وبأي اتجاه أسكبُ
بقاياها في الصحن الصغير، تتغير الوجوه
والحكايا تاركة وراءها خطوطا سوداء.

***

من الأعالي أتأملُ صفوفَ النّمل البشري تركضُ
في الشوارع والأزقةِ وقدْ بدتْ مثل أسفنجةٍ
سوداء تمتصُّ العرقَ والتعبَ واللهاثَ .

النّمل يتكاثفُ في الشّوارع ، دبيبه يولّدُ ضجيجًا عاليا يتصاعدُ إلى أعلى، أسدُّ أذنيَ جيدا مخافة أن يثنيني صوتُ ارتطام جسدي المفاجيء بالأرض عن قراري بالعودةِ للانضمام إلى صفوفِ النّمل من جديد .

فهرس المحتويات

صفحة الناشر	٢
الاهداء	٥
تحجبني عنك الستائر	٩
مستر بورفورن	٢٤
ثرثرة الضوء	٢٧
نصف ساعة للطريق	٣٠
خيط غيم داكن	٣٤
شرفة عالية الاحلام	٣٦
قبعة القش	٣٩
موت الشجرة	٤١
الإرث	٤٤
حديقة ابي	٤٥

تلك الفلاحة	٤٩
ضوء أزرق	٥١
رؤيا بيضاء	٥٣
مرآة	٥٥
محراب	٥٦
عاريا منك	٥٧
ويعد لي فرحا	٥٨
حين يجتمع الضدان	٦١
أنفاس القطار	٦٦
بيتي	٦٩
تشابه	٧٠
فلامنجو	٧١
مسافة	٧٢
اشياء تؤلمني	٧٣

قاع الضوء	٧٤
جثة الليل	٧٥
غواية	٧٦
ربابة	٧٧
احلامنا	٧٨
شغف	٧٩
حب	٨٠
وله	٨١
صداع	٨٢
ابن الذاكرة	٨٣
امي	٨٤
دليل	٨٥
موت	٨٦
رائحة القهوة	٨٧

وجه	٨٨
صنارة الوقت	٨٩
مسني من السماء فرح	٩٤

النثر

في عشق العنقاء	١٠٩
ما لم تقله العرافة	١١٤
معا في مرجل الليل	١١٨
في حضن البحر	١٢١
اللعنة عليك	١٢٤
هذيانات خريفية	١٢٨